الاستاذ هيكل وتهمة التزوير

نشرت جريدة الاخبار منذ بضعة اشهر مقالة عنوانها « فضيحة فيلسوف » شدد كاتبها النكير على الاستاذ هيكل وطعن فيه طعناً شديداً فنسب اليه تزوير بعض الصور لاسيما صور اجنة القرد والانسان وغيرها من الحيوانات . والرسالة طويلة اقتطف منها ما يأتي

« ولكن نجم سعدو هوى بغتة من سماء العلم وتقطع اسمه واسودت صحيفته بجرم فالتزم النحي مكرهاً عن كلية بانا بعد ان قضى فيها ثلاثين عاماً بين مجد وفخار

« وسببه ان صاحبنا كان يبحث عن ادلة تثبت مذهبه المورفيسم وان الانسان متسلسل بلا شك عن القرد فادعى انه وجدها في درس نطف الحياة (الامبريولوجي) . واذاع في كتبه صوراً كثيرة في هذا الجنس تدعم قوله فتداولتها الايدي واعتمد عليها العلماء الا ان احدهم داخله الريب وهو الدكتور براس من صحة تلك الصور المكبرة وانكب على البحث الى ان ظهر له مؤخراً كذب تلك المكبرات وتزويرها بسوء نية فلم يتمالك عن اذاعة رأيه على صفحات الجرائد فقام له هيكل وقعد ورد على الدكتور براس رد الضعيف الخائف من الفضيحة فسبه وشتمه »

الى ان قال « فهاج الرأي العام وطلبت الجرائد والمجلات من هيكل ان يجيب جواب عالم لا جواب مغتاظ ثائر كما كان فعل اولاً وثانياً وثالثاً فالتزم صاحبنا ان يقر على رؤوس الملإ ان ثمانية في المائة مما نشره من جنس تلك الصور مزوَّر كما قال براس ولكنه سلى نفسه واعتذر للرأي العام بان له شركاء كثيرين يجرون مجراه في هذه الدروس وان معظم الصور التي ينشرها اكابر اهل العلم من هذا الجنس ليست بصحيحة وهي تختلف في مقدار تحريفها وتزويقها وبعدها عن الحقيقة »

وختم الكاتب رسالته بهذه الكلمات . « لقد عمل صاحبنا هيكل بقول المثل اكذب ولا تمل فان الكذب لا بد ان يعلق منه شيء ولو بعد ظهوره . فاعجب الله يا هيكل فقد جنيت على نفسك وعلى العلم » . والرسالة موقعة باسم « لاوي » وهو اسم مستعار يظهر منه ان كاتبها من رجال الدين

واخبرني صديق ان جريدة البشير التي تصدر في بيروت وهي للآباء اليسوعيين نشرت الرسالة المذكورة ونسبتها الى جريدة الاخبار

ثم نشر المقتطف في عدد فبراير من هذه السنة ترجمة الاستاذ هيكل بوجه الاختصار وضرب صفحاً عما نسب اليه من التزوير لاعتقاده عدم صحته . فجاء العدد الثالث من مجلة المشرق وفيه ما نصه

« هيكل والمقتطف — افتتح المقتطف عدد شباط الأخير بنبذة عن ارنست هكل واطرق كعادته ذلك الطبيعي الشهير نصير المذهب الدروبني ولم ينسَ الكاتب الا أمراً واحداً وهو ما وقف عليه العلماء من تلاعب هذا الرجل ومكره العجيب » ويتبع ذلك كلام لا يخرج في المعنى عما ذكر صاحب مقالة الاخبار

فسئل المقتطف عن هذه المسألة فاجاب مبرئاً هيكل مما نسب اليه الى ان قال

« ان رصفاء هيكل انتقدوه اكثر مما انتقد هكلي رصفاؤه والذين لم يراعوا في الانتقاد صداقة انتهوه بشيء من قلة التدقيق في ذكر الامور البيولوجية والذين شددوا النكير عليه قالوا ان قلة التدقيق هذه اهمال وتقصير مقصودان فانه غيَّر في الصور التي نشرها لتصير موافقة لمذهبه وعيروه بان خياله كان قوياً جداً فحمله على ملء الفراغ في سلسلة الاسلاف بحلقات معقولة ولكنها خيالية لا حقيقية . ومهما يكن من ذلك فلا شبهة في صحة كل الامور البيولوجية التي بنى عليها فلسفته ودياناته العلمية وما احسن ما قالته سكلوبيديا تشمبرس المطبوعة سنة ١٩٠٦ وهو : لقد غلط اغلاطاً تدل على ان شديد التصور لا يأمن العثار . وفي تعاليمه شيء من التحكم (دوغماتزم) . ولكن ما في اشغاله العلمية من الاستقصاء وفي رسومه من المهارة وفي كتاباته من الجلاء وفي تعليمه من الطلاوة وما امتاز به من الشجاعة والصراحة والفصاحة كل ذلك رفعه الى المقام الاسمى بين علماء الطبيعة المعاصرين »

فنشرت مجلة المشرق في عددها الخامس ما نصه

« كنا اخذنا على صاحب المقتطف في عدد سابق (ص ٢٣٨) سكوته في مقالته على الدروبني هكل عن سكر ذلك الكاتب وتزويراته الفريية لتأييد رأيه بالكذب والبهتان وكان غيرنا ايضاً نبَّهوا فكر مدير المقتطف الى الامر فاقرَّ بسذاجة في عدد نيسان (ص٤٠٨) بخطإ ذلك الخداع وان اجتهد غاية امكانه في تخفيف وتبرير لو صدر من غيره لشدَّدت المجلة عليه نكيرها »

فخطر لي حينئذٍ ان اكتب الى صاحب الشأن نفسه واستفهمه منه عن حقيقة هذه المسألة . وكنت قد عثرت على ترجمة خطب القاها هيكل في برلين منذ خمس سنوات ونقلها الى اللغة الانكليزية المستر جوزف مكاب ونشرها في هذه السنة . وعلمت من مقدمة المترجم

انهُ من اشد انصار هيكل فرأيت ان اكتب اليهِ ايضاً . فجاءني الرد من هيكل حالاً اما المستر مكّاب فكان في استراليا فكتبت اليَّ زوجتهُ بالنيابة عنهُ . وسأذكر ترجمة الكتابين مع المحافظة على الاصل ما امكن

ويجدر بي قبل نشر الكتابين ان اذكر للقراء شيئاً عن المستر مكّاب فاقول . هو الجزيل الاحترام الاب انطونيوس مكاب . ولد سنة ١٨٦٧ وتخرّج في كلية القديس فرنسيس وكلية القديس انطونيوس في انكلترا وفي جامعة لوفين في بلجيكا واندمج في سلك الرهبنة الفرنسيسكانية سنة ١٨٨٣ وسيم كاهناً سنة ١٨٩٠ وعين استاذاً للفلسفة في كلية بكنهام ثم رئيساً لها وبقي في منصبهِ هذا الى ان ترك الرهبنة سنة ١٨٩٦ : فاشتغل بالصحافة والخطابة والتأليف . ولهُ مؤلفات كثيرة منها « اثنتا عشرة سنة في الدير » و « هل في امكاننا نزع السلاح » و « تدين الساعة » و « تقهقر الكنيسة الرومانية » وهو الكتاب الذي اخذ عنهُ صاحب مجلة المقتبس نبذتهُ في تراجع الكثلكة كما ورد في مجلة المشرق في الصفحة ٤٧٨ من سنتها الحالية . وقد نقل المستر مكّاب مؤلفات كثيرة الى اللغة الانكليزية منها « آخر كلمات بخنر » و « اعجوبة الكون » و « غرائب الحياة » و « نشوء الانسان » والثلاثة الاخيرة من مؤلفات هيكل . وهو من اشد انصار هيكل كما مرّ وقد لقبهُ السر اوليفر لدج برسول هيكل في بلاد الانكليز

وهاك تعريب الكتاب الذي بعث بهِ اليَّ الاستاذ هيكل

يانا ١٨ يونيو ١٩١٠

سيدي العزيز

اني مرسل اليك نسختين من ردّي على المطاعن التي وجهها اليَّ رجال الدين من الكاثوليك والبروتستنت مثل وسمان وبراس وغيرهما . اما ما اتّهمت بهِ من تزوير الصور فليس الاّ حيلة اكليريكية ولا نصيب لهُ من الصحة . واذا عرّبت شيئاً من مؤلفاتي فانك تكسبني فخراً جزيلاً

المخلص

ارنست هيكل

وتكرّم وارسل اليَّ صورتهُ ونسخة من خطبة القاها امام تلامذة جامعة يانا في الحفلة التي اقيمت في ٣٠ يونيو سنة ١٩٠٨ تذكاراً لمضي ٣٥٠ سنة على انشائها . اما كتاب المستر مكّاب فهذا تعريبهُ

لندن ٢٦ يونيو سنة ١٩١٠

سيدي العزيز

بما ان المستر مكاب في استراليا الآن رأيت ان اكتب اليك بنفسي على قدر ما تسمح به الطاقة

ان ما عزي الى الاستاذ هيكل من التزوير منشأه خطبة القاها في حفلة مأدبة قال فيها مازحاً انه ليس اقل خداعاً وكذباً من داروين وهكسلي وغيرهما من العلماء الاعلام الجديرين بكل اكرام. وقد اشار بذلك في ما اظن الى اعتراض بعضهم على آرائه ونظرياته التي تخطى فيها الحقائق المقررة شأن غيره من العلماء ولولا تخطي العلماء حد الحقائق المقررة لكان سير العلم بطيئاً جداً

واظن ايضاً ان بعض هذه التهم مصدره اعتراف الاستاذ ان بعض رسومه مركب اي مؤلف من اجزاء عديدة بعضها مع بعض كما لا بد منه للباحثين بالمكرسكوب فان ما يرى تحت المكرسكوب لا يظهر منه اذا كان كبيراً الأجزاء في نهاية الصغر فيتوجب رسمه الفاظ ودقة في العمل حتى اذا رسم مع سائر الاجزاء يكون في محله وتكون الاجزاء كلها على نسبة واحدة. وهذا ما فعله الاستاذ لا كما زعم خصومه انه اختلق رسوماً لا حقيقة لها تأييداً لمذهبه

ومما يؤسف عليه ان هزله في خطبته حمّل زوجي عناء كبيراً واشغله زمناً في تفنيد مقتريات لا طائل تحتها كانت تتوارد من انحاء العالم فكان يرد عليها ويوضح الحقيقة كما هي. وجدا لو كان المستر مكاب هنا فيكتب اليك بنفسه لانه اقدر مني على ايضاح حقيقة هذه المسألة على انني اعلم انها لا تخرج عما ذكرت

وقد لاحظت انك ترغب في نشر تكذيب لتلك الروايات فارسلت كتابك الى المستر هوبر لعله يفيدك في شيء من هذا القبيل المخلصة

بياترس مكاب

هذا ما كتبت به هذه السيدة الفاضلة. اما المستر هوبر وهو سكرتير جمعية نشر المطبوعات العلية فكتب اليّ يقول «ان في عدد مايو سنة ١٩٠٩ من مجلة الدليل الادبي مقالة للمستر مكاب كذّب بها التهم الصحيفة التي نسب فيها التزوير الى الاستاذ هيكل» وان العدد المذكور نفد كله[1]

اما رد الاستاذ هيكل فسأنشره في الجزء التالي من المقتطف امين المعلوف

(1) Literary Guild, May number, 1909.